قصة: كان عنده أمل!

من كتاب "**فى الحب وأشياء أخرى**" للكاتب/ سليمان جودة

بائع متجول، وفقير، ولا يملك إلا بعض أقفاص الخضر والفواكه.. نعم كان كذلك، ولكنه فى المقابل، عاشق، ومحب، وله قلب كان يهفو إلى فتاته التى كانت قد انشغلت عنه تماماً، فمضى هو، فى شوارع الشام، وطرقها، ينادى بأعلى صوته، على بضاعته، ويرجو أبناء الحلال أن يرشدوه إلى حيث اختبأت الفتاة.

ويبدو أن ذلك المحب، البائع، العاشق، قد أرهقه طول السعى والبحث والصياح والمناداة، حتى أطلقوا عليه لقباً مشتقاً مما يفعله.. إذ أطلقوا عليه اسم: الوأواء، وهو اسم عجيب كما ترى، وليس له معنى إلا أن صاحبه قد مضى ينادى غير طائل، حتى أصابه المرض والإعياء فى فكيه فلم يعد قادراً على الكلام، وإذا أراد أن يخاطب أحداً، جاء حديثه "وأوأة" غير مفهومة ولا منغومة!

والذين رأوه، أو رووا عنه، قالوا إنه فى آخر أيامه، اصطنع حكاية بيع الفواكه والخضار هذه، وأنها فى الأصل لم تكن مهنته ولا صناعته، فهو فى الأساس شاعر موهوب ومجيد، وله أشعار فى الغزل والهجاء، تشهد له بالشاعرية المتدفقة، والموهبة المتقدة.. ولكن الإنسان، بغض النظر عن كونه شاعراً، أو غير ذلك، يعيش دائماً على أمل ما، أو هدف كبير فى حياته، فإذا تحقق هدفه المنشود، ورنت عيناه إلى هدف آخر، يتجاوز الهدف الأول، حتى إذا تحقق الثانى، انتقل إلى الثالث.. وهكذا.

وعلى هذا الأمل، أو ذلك الهدف، ببساطة شديدة، يعيش الناس ويمارسون حياتهم، كلٌ على قدر أمله وهدفه، وطموحه، لا فرق فى ذلك بين العبقرى والساذج..

فإذا ما صادف الأمر، وانهار الأمل الكبير، أو الذى يراه صاحبه كذلك، انهارت معه حياته تماماً، كما حدث مع "الوأواء" وقضى حياته وما تبقى منها يهذى بكلام غير مفهوم.. فهو أصلاً، اسمه: محمد الغسانى، وعاش أيام الدولة الحمدانية، أى عاصر أبا الطيب المتنبى، وقرأ له، أو سمع عنه، وربما لقيه حين كان أبو الطيب ينزل فى ضيافة سيف الدولة..

والمهم أنه اصطنع حكاية الخضر والفواكه هذه، وأتصوره وهو يدفع أمامه عربة يد، ينادى على فواكهه، ويغرى الزبائن، ويسأل عمن صادف أو رأى فتاته التى لم يكشف اسمها فى كل ما قال.

وكانت له تجربة فريدة، فى خطاب كتبه إلى فتاته تلك، كتبه ولم يرسله. وإنما كان يسلى نفسه فيجعل كل أشجانه على الورق، ثم يحدث نفسه، ويحاور الخطاب، ويطلب إليه، إن وصل يوماً إلى يد الفتاة، أن يرتد إليه فوراً ويطمئنه.

وكان ،وهو يكتب أو يعيد قراءة ما كتب، يلاحظ أن الهواء يعبث بخطابه، فيهتز الخطاب تبعاً لذلك، ويعتقد الوأواء، ربما لإرضاء شىء فى نفسه، أن الخطاب هو الآخر يحترق شوقاً إلى الفتاة، وأنه يود لو سبق الشاعر إلى فتاته ثم عاد بها إليه.. وأنه.. وأنه... إلى آخر الخيالات التى كانت ترتسم فى عقل صاحبنا فيصدقها هو، من وطأة أزمته، ثم يسرع فيسجلها على الورق!

وكان الرجل إذا جاء يكتب، غالبه شوقه، فغلبه، فانسالت تبعاً لذلك دموعه، وتساقطت على الخطاب دون أن يدرى، فإذا انتبه لذلك اعتقد. ساذجاً أيضاً. أن الخطاب يجاوبه، فيبكى لبكائه!

وكانت قمة الأداء الدرامى، كما نقول اليوم لنصف مشهدا مؤثر، أن الوأواء قد تصور يوماً، أن الله تعالى قد وهب الخطاب شيئاً من الإحساس، وأنه –أى الخطاب– لما استشعر حرارة الكلام الذى خطته يد الشاعر، احترق من شدة الشوق.. نعم احترق من شدة الشوق.. نعم احترق وشبت فيه النار!! قال:

حتى إذا علم القرطاس ما كتبتكفى من الشوق فى أحشائه احترقا

بائع إذن.. وعاشق صحيح.. ولكنه مجنون!!

قصة: ليبقَ الفرح دائماً

يعتقد الإنجليز أن السعادة مستحيلة. ويقولون فى تبرير هذا الاعتقاد أن الإنسان ما بين الخامسة عشرة والعشرين يملك الوقت ويملك العافية ولكنه لا يملك المال. وبالتالى فإنه عاجز عن التمتع بالحياة وكذلك فإن هذا الإنسان ما بين العشرين والستين يمتلك المال ويمتلك العافية ولكنه لا يمتلك الوقت للاستمتاع بالحياة. أما بين الستين والثمانين فإن الإنسان يمتلك المال ويمتلك الوقت ولكنه يفتقر إلى العافية وبالتالى فإنه يبقى عاجزاً عن الحصول على السعادة. ومن هنا يعتقد الإنجليز –ربما بسبب مناخ بلادهم الأقرب إلى الكابوس– أن الإنسان يكتب تاريخه بالدمع وليس بالفرح. وربما كان هذا صحيحاً لدى بعض الشعوب التى تكتب تاريخها بالمآسى. وتحتفل بذكرى تلك المآسى بطقوس يفيض فيها الألم والبكاء. إلا أن الفرح يبقى نسيج الحياة ونسجها. وهذا الفرح يعتمد على مثلث "الوقت والعافية والمال" باعتباره قاعدة السعادة. ويضيف إليه الحب بكل أهواله ومشقّاته.

وفى هذا تقول رواية تحمل عنوان "ليبقَ فرحى دائماً" إن أهالى إحدى القرى الجبلية كانوا يعملون على إنتاج محاصيلهم بشكل جماعى. وبالتالى فقد كان لديهم فائض من الوقت والمال والعافية. ورغم أنهم لجئوا إلى زراعة الأزهار والورود بعد أن فاضت محاصيل الخضار والحبوب لديهم، إلا أن هذا لم يستهلك الفائض من وقتهم. وهنا قرروا أن يقوموا بمساعدة غزلان جبلهم على ممارسة الحب، وذلك أن الغزلان الذكور كانت تعيش فى قمة الجبل بينما تعيش الإناث فى سفح الجبل، غير أن ما جرى بعد ذلك فاجأهم، إذ إن إناث الغزلان توقفت عن إرسال رائحة المسك التى كانت بمثابة رسائل حب. وهو ما أدى بدوره إلى "برودة" الذكور، فتوقفت عن ممارسة الحب. ولم يعد أمام الأهالى من خيار إلا إعادة الذكور إلى رأس الجبل لتجرب حظوظها فى الحب أو الموت فرحاً....

أنور الياسين

قصة: مازال أبوك يحبك.. وينتظرك

ترك شاب أباه فى قرية صغيرة فى الريف وركب القطار إلى مدينة ليعيش فيها وقال لأبيه عند فراقه.. لن أعود أبداً إلى هذا البيت الكئيب! لقد أخذت نصيبى... وهذا حقى! وأريد أن أعيش حياتى بطريقتى... وهذا أيضاً حقى! وأثناء تحرك القطار قال له الأب والدموع فى عينيه... إذا أردت أن تعود فى أى وقت سأكون فى انتظارك!! ومرت الأعوام وتلاعب الشاب بالأموال.. والتف حوله الأصدقاء.. ومع الوقت.... ذهب الكل كما جاء!! المال والأصحاب! وجاءت الضيقات والأمراض.. ووجد نفسه وحيداً! فأخذ قصاصة صغيرة من الورق وكتب عليها بدموعه كلمات قليلة.. يا أبى أنا غلطان وتعبان جداً.. ومشتاق لحضنك وحبك جداً.. ومحتاج حنانك.. محتاج غفرانك.. محتاج سلامك! يا أبى.. لقد قررت أن أركب القطار الذى سيمر من أمام بيتك السبت القادم.. فإذا كنت مازلت تحبنى وتريد أن تستقبلنى. أرجوك أعطنى علامة! وهى أن تضع قطعة قماش بيضاء على الشجرة التى أمام البيت! فإذا وجدتها سأنزل من القطار وإذا لم أرها سأفهم يا أبى.. وسأظل فى القطار إلى بلد آخر..

وظل طوال الأسبوع لا يعرف طعم النوم.. كان قلقاً.. مهموماً.. يتساءل فى نفسه.. ماذا سيفعل أبوه؟ هل سيضع قطعة القماش؟؟ وركب القطار.. ومعه ركبت مخاوفه! وأثناء الطريق لم يكن يفكر إلا فى قطعة القماش! كانت هى كل ما يتمناه! ومن وسط دموعه نظر إلى السماء وطلب من إله السماء شيئين.. الغفران.. وقطعة القماش!! واقترب القطار من البيت.. وابتدأ يسمع دقات

قلبه أكثر من صوت القطار! ولم يستطيع الانتظار فأخرج رأسه من النافذة ليرى الشجرة.. ولم يصدق عينيه.. وانفجر فى البكاء فقد رأى الشجرة ولكن لم تكن عليها قطعة قماش.. بل كانت الشجرة مغطاة بمئات القطع من القماش، كل غصن، كل فرع، كانت عليه قطعة قماش وكانت كل قطعة تحكى قصة! قصة حب.. حب أب لابنه.. قصة انتظار طال.. انتظار أب لابنه الذى يحبه.

السعادة نسبية

عادت السيدة اليونانية بارسكين كانياما إلى بلدتها بالقرب من العاصمة اليونانية أثينا بعد غيبة ١٦ عاماً عن أسرتها وعائلتها وأصدقائها.

واستقبلها زوجها وأبناؤها وأحفادها بحفاوة بالغة، كما قدم للترحيب بها عشرات من أفراد العائلة والأصدقاء.

وسعدت بارسكين (٦٤ عاماً) بهذه العودة وبخاصة لأنها شفيت من أمراضها العضال التى كانت تعالج منها فى قُطر آخر، واحتوتها مشاعر السعادة الفياضة حتى إنها ظلت تبكى... تعبيراً تلقائياً عن سعادتها الغامرة، واستمر فيض السعادة يغمرها حتى أصيبت بنوبة قلبية من شدة الفرح والسعادة مما أدى إلى وفاتها.

ماتت بارسكين من شدة السعادة! لكن السعادة ليست دائماً مميتة! كما أن السعادة نسبية وأسبابها متنوعة، فمثلاً يقول "مارك توين" الكاتب الأمريكى الساخر (١٨٣٥ – ١٩١٠) "**إن السعادة هى القناعة، فإذا رضينا بحياتنا وقنعنا بها، فقد بلغنا قمة السعادة**".

ويرى "هـ. ج. ويلز" الكاتب الإنجليزى (١٨٦٦ – ١٩٤٦) "**أنها أندر من تلك اللحظات التى يشعر فيها المرء بأن ضميره مرتاح لأنه لم يظلم أحداً**".

فالسعادة إذن ليست أمراً صعب المنال، لو أن المرء اكتفى بأن يكون سعيداً، ولكن مشكلته هى أنه يريد أن يكون أكثر سعادة من غيره، وقد يكون للظروف وللبيئة أثر فى سلوك الإنسان، كاحترام حقوق الآخرين أو تجاهلها، وعدم تجاوز حدوده والتقاليد التى ينشأ عليها، لها دخل كبير فى شعوره وتصرفاته، فلو تسلطت عليه النزوات وسار إلى الأشياء عن غير طريقها ثم أخفق فى تحقيق ذلك، فإنه يشعر بالتعس والشقاء وأحياناً بالضرر.

وليس غريباً فى هذه الظروف أن يغضب الإنسان أو يغتاظ عندما يصاب بخيبة أمل، ولكن الشخص الناضج هو الذى يستطيع أن يكبح جماح رغباته بحيث لا تؤذى الآخرين ويعلم أن انفعاله ربما يبعده عن بلوغ الأمور التى يريد تحقيقها.

وعناصر السعادة قليلة وأسبابها كامنة داخل النفس، وهى أرسخ ما تكون إذا قامت على حب الخير ونقاء السريرة. والمرء لا يستطيع أن يجعل غيره سعيداً، حتى يكون هو سعيداً فى نفسه ففاقد الشىء لا يعطيه، وقلما نجد السعادة الحقيقية فى غمرة الحياة الصاخبة، ولكنها أقرب إلينا فى ساعات التأمل.

أثر وسحر الابتسامة

كان بحكم عمله كموظف بقسم الاستعلامات، يوقع أمامه الموظفون والموظفات كل يوم عند حضورهم وانصرافهم، كان محبوباً لديهم لابتسامته وأدبه. ومن خلال نبرات أصواتهم، أو من نظراتهم كان يعرف مدى سعادتهم، أو حزنهم عندما يحيونه تحية الصباح.. أو المساء.

وقد لاحظ شيئاً مهماً، ربما كان السبب فى اكتشاف سر الانطواء الدائم للموظفة الجديدة هو الفارق فى المستوى الذى تظهر به زميلاتها، من أناقة زائدة عما تبدو هى عليه، ولذا كانت تتعمد الابتعاد عنهن، ولا تشاركهن السير عند الانصراف كعادة باقى الزميلات...

وفى صباح يوم.. وقفت تلك الفتاة أمامه وطلبت منه القلم لتوقع فى كشف الحضور، كانت فى حالة ارتباك ملحوظ للغاية.. وحاول أن يسألها عن سبب ارتباكها، لكنه عدل عن ذلك.. وعندما أعادت إليه القلم شاكرة، شيعها بنظراته، كانت بلا حقيقة.. وحاول أن يستوضح الأمر.. فعلم أنها نشلت عند نزولها من الترام .. !

وعند موعد الانصراف.. وقفت أمامه، قدم إليها القلم لتوقع، فكر فى أن يعرض عليها مبلغاً تسدد به حاجتها حتى أول الشهر، لكنه خشى أن يجرح إحساسها فآثر الصمت..

ومضت أيام.. لاحظ أن الفتاة أصبحت لا تحمل فى يدها حقيبة يد أخرى، تحفظ فيها كيس النقود، والمنديل، والقلم.. ولسبب غير واضح، كان يحس بضيق شديد كلما رآها فى مظهر يكشف عن رقة حالها.

وجاء أول الشهر وانتظر أن يرى الفتاة بحقيبة يد جديدة، تكون قد اشترتها بعد أن تسلمت مرتبها، ولكن خاب ظنه، ورثى لحال الفتاة، تأكد أنها لم تستطع على الرغم منها شراء حقيبة لارتفاع سعر الحقائب الموجودة بالسوق.

وبعد يوم رآها تقف بجانب إحدى زميلاتها التى اشتهرت بالأناقة الزائدة.. لم يشعر إلا وهو يوجه حديثه إلى زميلاتها وكأنما يخاطب الفتاة عن طريق غير مباشر..

- هل تحبين أن تشترى حقيبة يد فاخرة بالتقسيط المريح؟

فردت قائلة:

- إن عندى الكثير.. شكراً..

وتدخلت الفتاة موجهة الحديث إليه فى خجل:

- هل تسمح بأن تحجز لى حقيبة يد سوداء.. لا يكون ثمنها غالياً..

فأسرع قائلاً:

- طوع أمرك.. غداً ستكون معى..

ذهب عقب انصرافه من عمله واشترى حقيبة يد سوداء، دفع ثمنها، كان غالياً تعمد أن يشترى حقيبة فى مستوى الحقائب التى تحملها زميلاتها حتى لا تكون أقل منهن أناقة..

وفى صباح اليوم التالى.. وبينما كانت الفتاة توقع فى كشف الحضور، أعطاها الحقيبة.. أخذتها منه بلهفة، لم تصدق عينيها، كانت تتفحصها بعناية تامة.. تمسكها، تهز بها يدها، وبدت فى عينيها نظرات الفرح، وكأنها لم تمسك حقيبة يد جديدة من قبل..

وبغتة أعادتها له شاكرة بعد أن تلاشت لمحات السرور، وقالت بصوت هادئ:

- الحقيبة جميلة للغاية، أنيقة، لكن....

فقاطعها قائلاً:

- إنها بالتقسيط ومن أول الشهر المقبل تبدئين فى سداد ثمنها.

وعند انتهاء العمل.. بدأ الموظفون، والموظفات ينصرفون. ووقفت الفتاة أمامه مع زميلاتها، وفتحت حقيبتها مثلهن، وأخرجت القلم لتوقع فى كشف الانصراف.. ولاحظ لأول مرة الفتاة تبتسم، وتشارك باقى زميلاتها فى السير معهن عند الانصراف..

وقتئذ أحس براحة عميقة...

عن مجموعة قصصية للمؤلف

بعنوان: "زوايا الحياة"

حب.. وسلام

فى مايو 1999 سلم أحد شباب كوسوفا المشردين هذه الرسالة المؤثرة إلى بوليس النجدة، لعلها تجد صدى فى قلوب الناس المُحبة للسلام، وهذا نص الرسالة:

"صرخت يائساً.. ولقى صراخى صدى أليماً فى الجبال والبقاع التى لطختها الدماء والنار.. لأن الحرب مزقت القلوب ودمرت كل شىء.. بكيت وكانت دموعى تنهمر مثل السيول، ولكن سرعان ما جففتها الأرض التى حرقتها قنابل "النابالم" !

نظرت حولى.. فرأيت ألوفاً مؤلفة من الضحايا والمشردين يطلبون النجدة وهم يصارعون الموت.. الظلام والصمت الرهيب.. الخراب والدمار الشامل..

ربى! كيف أستطيع أن أقول إن فى الأرض حباً وسلاماً؟ متى أرى الناس تتصافح وتتصالح لكى تبنى معاً حضارة الحب والتسامح؟ أين الإنجيل الذى يقول: "**وعلى الأرض السلام**"؟

أحبك، أيها السلام، ومن أجل بناء السلام، أقدم عذابى وشقائى.. فلا تبعد عنى، أيها السلام.. تعال.. تعال.. لا تنطفئ..

إنى واثق أنك ستأتى، يا إله السلام، فتبتسم معك الأرض من جديد، وترنم مع الملائكة: ".. وعلى الأرض السلام"! (مت٢:١٤)

قد خسرت كل شىء

عاد عادل إلى منزله حزيناً جداً، لم يحتمل أن يتحدث مع أحد، فقد خسر كل ثروته فى صفقة تجارية تمت بالبورصة.

جلس عادل على الكرسى مكتئباً للغاية، لا يعرف ماذا يفعل. لكن زوجته الحكيمة التقية جلست مع أولادها وأخبرتهم أنه يلزمهم مشاركة أبيهم فى آلامه، كما كانوا يتمتعون بثمرة حصاده ومكسبه.

تسلل واحد وراء الآخر والتف الكل حوله. وإذ لم يكن قادراً على التحدث معهم، قالت له زوجته: "لا تحزن يا عادل، فإن الله الذى أعطاك الكثير سمح فأخذ منك مما أعطاك. فلنشكره، وهو يهتم بنا!"

صمت عادل ولم ينطق بكلمة. وبعد قليل فى لهجة غضب قال: "لقد خسرت كل شىء!" ثم هز رأسه وهو يقول: "حقاً كل شىء! لم يبقَ معى مليم واحد!"

ابتسمت الزوجة: "لقد أبقانى لك، فكيف تقول إنك خسرت كل شىء؟ ألست أنا أفضل من الأموال والغنى؟"

قال الابن: "كل شىء، وماذا عنى أنا أيضاً ألم يتركنى لك؟!"

حوطت ابنته الصغيرة رقبته بيدها، وهى تقول: "وأنا أيضاً معك يا أبى! كما ترك لك الصحة، وهى بركة أفضل من كل غنى العالم".

بابتسامة لطيفة قالت الزوجة: "لقد ترك لك يدين قويتين تعمل بهما".

قال الابن: "وأيضاً ترك لك قدمين يحملانك يا أبى أينما ذهبت!"

وأضافت الابنة: "وترك عينيك تتطلع بهما!"

أما طفله الصغير مارك فقال: "لقد ترك الله لك مواعيده الصادقة والأمينة هو أبونا الصالح الساكن معنا، ويشبع كل احتياجاتنا. لنقل مع المرتل: "باركى يا نفسى الرب، ولا تنسى كل حسناته".

خجل عادل من حب أسرته وإيمانهم، عندئذ قال لهم: "الآن علمت أننى لم أخسر كل شيء، بل ما خسرته لا يحسب شيئًا أمام ما يقدمه لى إلهى من عطايا".

الابن إنسان شاكر للرب ولكل من يقدم له معروفاً

هناك قصة خيالية تقول: إن الشمس لم تشرق يوماً على إحدى البلاد، واستيقظ الفلاحون صباحاً ليذهبوا إلى الحقول، لكن الظلام كان دامساً، واستيقظ الموظفون فى السادسة ليذهبوا إلى أعمالهم ولكن الظلمة كانت حالكة، واستيقظ التلاميذ ليذهبوا إلى المدارس، فلم يقدروا!

وعلى مدى ساعات النهار تعطلت كل الأشياء، وتوقفت الحياة، وأصاب الناس القلق على زراعاتهم، وارتعشت أجساد الأطفال والعجائز، ودب الخوف فى قلب الجميع.

ولما جاء الليل، لم يظهر القمر فذهب الجميع إلى دور العبادة، يرفعون الصلوات ويرددون الأدعية، ويصرخون ضارعين لتعود الشمس، ولم ينم أحد فى تلك الليلة!

وفى الخامسة من صباح اليوم التالى أشرقت الشمس فى موعدها، فتصايح الناس فرحاً، ورفعوا أيديهم إلى السماء يرددون صلوات الشكر ويتبادلون التهنئة؛ فقد أشرقت الشمس!

قال أحد الحكماء فى المدينة: "لماذا شكرتم الله على طلوع الشمس اليوم فقط ألا تشرق الشمس كل صباح؟! ألم تكن تشرق كل صباح على مدى الأزمان؟!"

قرار للسعادة!

- ابحث عن الجمال من حولك.
- لا تحرم نفسك من سعادتك.
- هناك دائماً ما يستدعى ابتسامتك وإشراق نفسك.

كنت أبحث عن أوراق الأشجار الحمراء فى طريق رحلتى، مع زوجى وأبى، من الولايات المتحدة الأمريكية إلى كندا فى موسم الخريف.

ولم تقع عيناى من نافذة السيارة على أى أثر للون الأحمر الذى كنت أتوق لرؤيته، ولا حتى للون الأصفر، بينما امتدت مساحات اللون الأخضر الذى بدا لى مملاً على جانبى الطريق مما أفقدنى سعادتى.

كنت أجلس فى المقعد الخلفى بالسيارة، أشعر أن متعة هذه الرحلة قد ضاعت هباء، بينما جلس أبى وزوجى فى المقعد الأمامى يتحدثان فى سرور بالغ دون أن يبديا اهتماماً بما حولهما.

ولما سألت نفسى لماذا أنا غير سعيدة الآن؟ تبادر إلى ذهنى صورة أمى التى رحلت عن دنيانا، ولكنها كانت قد أثرت حياتى بكلماتها الحكيمة ونصائحها الغالية. وتذكرت هدية أمى لى فى طفولتى، دفتر (كراسة) صغير، صفحاته ناصعة البياض، كتبت لى على غلافه الملون بخط جميل:

"ابحثى عن شىء جميل يسعدك وسوف تجدينه"

فقد أوصتنى أمى أن أبحث عن أجمل الأشياء التى تصادفنى فى كل يوم، وأسجلها بخطى فى ذلك الدفتر (الكراسة) الصغير. وتذكرت الساعات التى كنت أبحث فيها عما يجب علىّ أن أسجله، هل هى ابتسامة طفل وديع، أو قطرات الندى فوق بتلات وردة جميلة، أو زهور الزنبق التى كانت تنمو فى حديقة بيتنا، أو الحدائق من حولنا، أو أى مجال من مجالات عظمة الله الخالق المدبر لهذا الكون، أو لمسة حنان؟ أو نظرة تقدير.....؟

وفى أحيان كثيرة كانت صور الجمال التى تسعدنى كثيرة من حولى حتى إننى كنت احتار فى اختيار شىء واحد فقط منها أسجله فى الدفتر (الكراسة) الصغير.

اتخذت قرار السعادة:

قلت لنفسى: لماذا لا أفعل الآن ما كنت قد تعلمته من أمى فى طفولتى؟ أن أبحث عن شىء جميل أشعر معه بالسعادة. وبالفعل رحت أتأمل تلك المساحات الخضراء المحيطة بنا فى الطريق بعينين جديدتين، حيث كوّنت الغابات الكثيفة التى تحيط بنا على الجانبين وأشجار الصنوبر المخروطية، أشكال جميلة متعددة، كما أخذت بعض أوراق الأشجار تتراقص مع النسيم.

وشعرت وكأننى قد أصبحت طفلة صغيرة مرة أخرى.

وفى أواخر الرحلة عندما عبرنا بنسلفانيا العليا وبلغنا الطريق إلى كندا، شاهدت أوراق الخريف التى كنت أتطلع إلى مشاهدتها، ولكننى كنت قد شاهدت بالفعل خلال الرحلة ملايين الظلال الخضراء التى لا يستطيع أن يكونها أو يخلقها بهذا الجمال وهذه العظمة إلا الله وحده.

إننا نستطيع مشاهدة هذا الجمال فى أى مكان إذا بحثنا عنه بأنفسنا عن قرب، وقررنا أن نسعد به.

الملاك والفرح

يُحكى أن ملاك الربّ ظهر فى حُلم ذات ليلة لفلاح بسيط. يسير فى مخافة الله وقال له: "لقد وجدت نعمة فى عينى الرب إلهك. لأنك تسلك فى وصاياه بأمانة. وقد أرسلنى لك لأخبرك أنه

يمكنك أن تطلب ثلاث أمنيات يحققها لك الرب على الفور. لكن هناك شرط واحد. وهو أن كل طلبة تنالها. سيُعطى الرب ضعفها لجارك.

استيقظ الفلاح من نومه وقصّ رؤياه على زوجته. واتفقا على أن يطلبا من الملاك قطيعاً من ألف رأس من الماشية. يمكّنهما من العيش الرغد. وحالما طلب الرجل من الملاك أمنيته الأولى. سمع صوت الماشية تملأ فناء منزله الضيق. وطرقاته حتى إنه لم يجد موضعاً لقدميه. لم يصدق الرجل وزوجته ما حدث لهما. وكاد قلباهما أن يتوقفا من الفرحة. وانهمكا فى صلاة طويلة يقدمان فيها الشكر لله على عطاياه الجزيلة.

وبينما الفلاح يتفقد الأرض أعلى التل ليرى أى مكان يستطيع أن يبنى فيه حظيرة تسع هذا القطيع. نظر إلى أسفل ناحية بيت جاره، فلمح قطيعاً كبيراً عبارة عن ألفى رأس من الماشية يملأ أرض جاره. وسرعان ما تحولت ابتسامة الفلاح إلى عبوس. ومكان الفرح الذى يملأ قلبه. حلّت الغيرة الشريرة. ونزل بسرعة من على التل ودخل بيته مكتئباً ولم يستطع تناول عشائه. ودخل الفلاح إلى حجرة نومه. وألقى بجسده على الفراش محملقاً فى سقف الحجرة. غير قادر على نسيان منظر القطيع الكبير الذى امتلكه جاره. وكيف أنه أكبر من قطيعه.

وفى منتصف الليل. تذكر الفلاح كلام الملاك. بأن فى إمكانه أن يطلب ثلاث طلبات. وفى الحال طلب الفلاح طلبته الثانية. هذه المرة صلّى الفلاح أن يرزقه الرب طفلاً يحمل اسمه. حيث إنه لم يكن له ولد بعد. وما هى إلا أسابيع قليلة حتى حبلت زوجته وولدت طفلاً جميلاً. فرح به الرجل فرحاً عظيماً جداً، ومن فرحته دعا كل أصدقائه وجيرانه. ليحتفلوا معه بهذه العطية الإلهية التى انتظرها طويلاً

وحضر إلى الحفل أيضاً جاره. الذى سرعان ما أخبرهم بأن زوجته وضعت توأماً. وأنه يدعوهم بدوره لحفل خاص بهذه المناسبة السعيدة. وفى اليوم التالى انقلب مزاج الفلاح. وامتلأ قلبه بالغيرة والحقد من جاره. ولم يستطيع هذه المرة أن يسيطر على هذه المشاعر المريضة. فوقف أمام الرب ليطلب طلبته الثالثة.

هذه المرة طلب الفلاح من الرب قائلاً: "يا رب من فضلك أقلع عينى اليمنى وألقها عنّي. فلا أعود أرى كل النعيم الذى يتمتع به جارى. لأن قلبى امتلأ غيرة من ناحيته. ولا أحتمل رؤيته يتمتع بكل هذا الخير. وأنا لا أملك إلا نصفه". قال هذا وهو يعلم أن جاره سيفقد كلتا عينيه، ويصير أعمى!!

عندها حدثت فترة صمت. ثم وقف به ملاك الرب وعيناه مملؤتان بالدموع قائلاً له: "أيها الرجل الشرير الأحمق. لماذا تحول لحظات البركة إلى ألم وتعاسة؟ طلبتك هذه لن أصعد بها أمام الرب ليس لأن الرب لا يستطيع أن يحققها لك. لأنه إله محب ورحيم. ولن يُسر بهذه الطلبة الشريرة وليس لأنك تستحق قد أعطى لك ولكن لأن هذه مسرة الله".

وانصرف عنه الملاك

نبع السعادة

سمح الله يوماً لملائكته بأن يهبوا لمساعدة أهل الأرض. لأن صراخ الناس وشكواهم أقضتا مضاجع سكان السماء. وبعد تفكير طويل، عزمت الملائكة على تفجير ينبوع فى الوادى. كل من يشرب منه يشعر بسعادة فائقة وفرح لا يوصف. وانسال الماء على صخور الوادى زلالاً، ووصلت رقرقته إلى مسامع سكان السفح والسهول الخضراء. لم يكترث الناس له فى بداية الأمر. فالوادى مأوى اليائسين والحزانى أو الذين ابتعدوا عن الحياة الاجتماعية ومغرياتها وفضلوا العزلة فى الأعماق السحيقة. وبعد مضيّ فترة من الزمن، أصبح النبع حديث العامة. لأن الذين تركوا المجد ونزلوا إلى القاع ونهلوا من مائه، تغيرت حياتهم وانقلب حزنهم فرحاً.

كان نزول الوادى صعباً. والوصول إلى النبع يتطلب مشقة كبيرة وزهداً. وبسبب وعورة الطريق، صعب على النازلين أن يحملوا معهم متاعاً. كما صعب عليهم أن يملئوا جراراً بماء السعادة لينقلوها إلى القاطنين فى المدن، مّمن يعيشون حياة عادية بأفراحها وأحزانها. ورغب كثير من الأغنياء فى الحصول على ذلك الماء دون عناء فلم يفلحوا. لأن رغبتهم كانت بدافع الفضول لا الحاجة. ولم يرضَ واحد منهم بالتخلى عن ثروته التى تكبله وتعيق حركته. لذا، أضحى نزوله إلى الوادى أمراً مستحيلاً. فهذا غني بأولاده أو رجولته أو علمه ومعرفته. وهذه بحسن سمعتها أو مقامها الاجتماعى أو جمالها. كان بينهم من يظن أنه غني .... وهو فى الحقيقة فقير. فيتمسك بما يحسبه غنى حقيقيا. ويبقى أسير أوهامه. ويعتقد أنه ناجح، أو خدوم أو شريف أو بار، فيتكبر على الآخرين.

لم يدم الحال على هذا النحو فترة طويلة. فقدرات الإنسان هائلة، وذكاؤه يذلل جميع الصعوبات التى تضعها الطبيعة أمامه. كان فضول الأغنياء يزدادا يوماً بعد يوم لمعرفة فضائل ماء نبع السعادة. لذا، سخّروا ما أعطاهم المولى من طاقات، وشقوا طريقاً فى الوادى وعبّدوه. ومدوا قساطل ودعموها بمضخات. فوصل الماء إليهم دون عناء، وأصبح الذهاب إلى الوادى رحلة فيها متعة ولذة بدل أن تكون مشقة وجهداً. لكن الماء فقد أثره الأول. كان كل من يشرب منه لا

يحب إلا نفسه، ولا يعير اهتماماً لمشاعر الآخرين واحتياجاتهم. وفى بعض الأحيان، يتشاجر الناس ليمنع بعضهم بعضاً من الشرب منه ويستأثروا به لأنفسهم.

خاف الملائكة على النبع وخشوا ألا يستطيع أن ينهل من مائه من يسعى إليه بصدق وإخلاص. وتساءلوا أين يستطيعون أن يخفوه لكى لا يجده إلا من يرغبه حقاً. "إن وضعناه فى أعلى الجبال، سيصل الناس إليه بالطائرات. وإن أخفيناه فى حرف الأرض، سينقبون عنه بالحفارات. إن رميناه فى الفضاء، سيبلغونه بالمركبات، وإن وضعناه فى قاع البحر، سيسعون إليه بالغواصات".

وبعد تفكير طويل، قال واحد من الملائكة:

– هناك مكان واحد لا يمكن للإنسان أن يبلغه بكبريائه وجبروته، ولا يجده إلا الزاهد الذى يدرك أن متع الحياة أفراح زائفة. فيتخلى عنها ويسعى إلى البحث عن السعادة الحقيقية. وأخفى الملائكة نبع السعادة فى قلب الإنسان.

وأنت يا عزيزى، أين تبحث عن ينبوع سعادتك، وكيف تسعى إليه؟

إن متعة الحياة تقوم على سلام الحاضر، وضمان المستقبل

أحداث القصة التالية تعود إلى بداية القرن الحادى عشر الميلادى، وتدور حوادثها فى اسكتلندا. أما كاتبها فهو أعظم الكتاب والشعراء الإنجليز "وليم شكسبير" (١٥٦٤ – ١٦١٦)، والذى أخذ أصولها التاريخية عن المؤرخ هوليتشر الذى كتب تاريخ الإنجليز.

تقول القصة إن الملك "مالكولم" –ملك اسكتلندا– توفى ولم يترك ولداً، فخلفه على العرش شاب وديع طيب، هو الأمير "دنكان" ابن ابنته بياتريس.

وكان فى خدمة الملك "دنكان" شاب طموح هو "ماكبث" الذى حارب ودافع عن المملكة بشجاعة وقوة وحقق انتصارات حربية باهرة.

ولكن "ماكبث" كان يتوق إلى الملك، وسرت هذه الرغبة المحمومة فى عقله وكيانه، كما يسرى السم فى الجسد، حتى انهار أمام شهوته الجامحة، فتآمر على مليكه الطيب، ودفع حراسه إلى الفتك به وهو نائم. فما أن أجهزوا عليه، حتى قتلهم جميعهم، إخفاء لجريمته!

وتواطأ "ماكبث" أيضاً على عصبة من النبلاء الذين توجوه ملكاً!

فما أن أصبح ملكاً حتى تحول إلى طاغية، واشتط فى الظلم والقسوة على الناس، بحجة الانتقام للملك المقتول!

ولكن "ماكبث" – بعد انتصاره وظفره بما يريد – لم يكن سعيداً فقط، بل على العكس من ذلك، استبد به وخز الضمير، وأقلقته المخاوف من أن يذيقه غيره من الكأس التى أذاقها لسلفه. وكان شبح الملك القتيل "دنكان" يتراءى له جالساً على رأس المائدة، حتى أقض مضجعه، وأسلمه للرؤى المجنونة!

وكثرت جرائم الطاغية، فاستمرأ الدماء، وأخذ يغتال نبلاء دولته، ويكدس أموالهم المصادرة فى خزائنه! ولكن هذا الطغيان الساحق لم يعطه الأمان، بل زاد خوفه من الناس وخوف الناس منه!

وبنى "ماكبث" لنفسه قلعة منيعة فوق مرتفع شاهق – أدار منها حكمه الطاغى ليشيع الرعب فى قلوب الناس.

لكن قلعة "دنسيتين" لم تدخل الطمأنينة إلى قلب "ماكبث" لم تعطه حياة هانئة، فقد دارت الأحداث دورتها، وجاء "ماكدف" –رفيق صباه– الذى هاجم القلعة، وانقض على "ماكبث" وحز رأسه وعلقه على الصارى على أبواب القلعة، ليشهده الجميع، بعد أن اغتصب العرش سبعة عشر عاماً!

وفى رواية "شكسبير" يورد لنا الكلمات الأخيرة للرجل الذى قضى عمره فى الصراع الخفى المرير لتحقيق رغباته فى الحياة.. يقول "ماكبث" قبل قتله: "فى طريق الموت والتراب نتحرك خارجاً كشمعة خافتة فالحياة ليست سوى ظل يتحرك كممثل مسكين يصول ويجول ساعة على المسرح، ثم يختفى ولا نعود نسمع صوته بعد! إنها مجرد قصة.. يرويها شخص معتوه، وهى مليئة بالضجيج والغضب، وهى تشير إلى العدم ..... إلى اللا شىء!"

من المؤلم حقاً أن تكون هذه الكلمات –أو ما شابهها– هى خلاصة خبرات أغلب الناس، حين تجمح بهم أطماح النفس فى هذه الحياة فيندفعون وراءها!

إن هذا الصراع المرير داخل النفس يمثل عبئاً ثقيلاً لا يُحتمل، ويجعلنا نسقط فى مهاوى الرغبات القاتلة ونضيع أيام العمر بحثاً عن معانى الحياة، فلا نجد غير العدم الذى زرعناه فيها بأيدينا الفارغة. ولو أننا أصغينا لصوت الله فى ضمائرنا لأدركنا أن متعة الحياة ترتكز على قاعدتين: سلام الحاضر، ويقين المستقبل.

الله ينظر إلى القلب

كثيراً ما تميل ابنتى الصغيرة إلى التعاون مع الآخرين وكلما حاولت عمل شىء تقدمت إلىّ قائلة: هل تريد أن أساعدك يا والدى؟ وإنى أعرف جيداً أنها لا يمكنها أن تكون ذات فائدة كبيرة لى، وأنها إذا حاولت أن تزيل الأعشاب من بين الأزهار فى الحديقة تقتلع الأزهار مع الأعشاب.

أو إذا بدأت بتنظيف غرفتى جعلت عاليها سافلها... إن نية ابنتى بلا ريب حسنة! إنها تروم مساعدتى قدر طاقتها وحسب معرفتها. من أجل ذلك أنا أشجعها كى تنمى هذه الصفة فيها. وحكمى عليها إنما يرتكز على نيتها الطيبة ونواياها الحسنة.

وهذا عين ما يعمله الله، فإنه لا يعتمد بإحكامه على الأمور الخارجية بل تراه ينفذ إلى أعماق النفس ويتفحص خفايا النيات. قال النبى أرميا: "القلب أخدع من كل شىء". وقال يسوع: "لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة". وقد أوضح السيد المسيح هذه الحقيقة بأن صور قلب الإنسان مظلماً وجاحداً ومتكبراً ومتحجراً، ذلك لأن القلب فى شكله الطبيعى يكون عرضة لكل قسوة وشر وإجرام.

الاحتمال والوداعة

تروى قصة عن إنسان مسن ورع لاحقه عدو وأزعجه لدرجة لا تطاق. فخرج هذا الإنسان عن دائرة اتزانه وقال: سوف أقتل هذا العدو. وسمع العدو تهديد ذلك الإنسان فقال فى نفسه: أريد أن أرى ماذا يستطيع شخص مسن على شاكلته، ورجل ضعيف يدعى القداسة نظيره، أن يصنع معى! لكن هذا الإنسان –عوضاً من أن يعمد إلى طرق شريرة– سلك طريقاً خيراً: وذلك أنه عرض حياته الشخصية للخطر ليخلص زوجة عدوه التى كانت مشرفة على الغرق. وعلى الأثر انفجرت الأزمة وزال الخلاف، وسويت القضية بينهما، وظهرت قوته عن طريق العمل الخيّر هذا. فقال العدو لذلك الإنسان: حقاً إنك استطعت أن تقتل الإنسان القديم الذى كان فيّ! فلم يبق لى شيء أستطيع أن أعمله لك الآن! وهذا يبين لنا أن عالمنا بحاجة إلى أناس يمارسون الغفران والاحتمال كما أراد الله لهم ذلك!

المشاركة الوجدانية

هذه السيدة مسنة تقول: لقد مات زوجى والتحق أولادى بزوجاتهم. فبقيت وحيدة فى هذه الدنيا. وأنا أشعر بمرارة الوحدة ووحشيتها أكثر من أى مخلوق آخر. ولمعالجة مشكلتها اقترحت عليها أن تشارك الآخرين مبادئ إيمانهم. وعلى الأثر تحقق لها ما كانت تحتاج إليه نفسها. فبعد عدة أسابيع كتبت لى تقول إنها أسعد امرأة فى المدينة، وإنها وجدت سعادة جديدة وأفراحاً جديدة عن طريق مشاركتها الوجدانية لحياة الآخرين. وهذا عين ما وعد به الله.

الاهتمام بالآخر يغير الإنسان

ليتك أيها القارئ تسأل الله أن يفتح عينيك لترى الحاجات لدى إخوانك بنى الإنسان! فترى عند ذاك أناساً فى حاجة إلى مساعدات مادية... وآخرين يعوزهم الأصدقاء وقد حرموا رفقة الصديق الوفي وزيارات المحبين، فيقضون أوقاتهم وحيدين ومستوحشين وتكون حياتهم مقفرة وموحشة.

وهناك أناس آخرون لا تساعدهم شخصيتهم للامتزاج بالآخرين فتراهم إذا دعوا إلى حفلة يشعرون فيها أنهم دون بقية الناس. وقد ذكر لى صديق أنه ذهب ذات ليلة إلى حفلة اجتماعية، فشاهد فتى يجلس فى إحدى الزوايا ولم يلتفت إليه أحد. وكان هذا الفتى يشعر بالحزن والوحشة واليأس. لكن صديقى شاء أن يظهر محبته له فأخذ يؤانسه ويتحدث إليه. وعندما انتهت السهرة كان هذا المستوحش قد امتلأ بالفرح والابتسام – ذلك لأنه شعر بأنه ينال قسطاً من الرحمة التى تحدث عنها الله ولمسه من المشاركة الوجدانية.

الواسطـة

شاهدت مرة فى إنجلترا صورة ربما كان أفضل اسم تسمى به "الواسطة". ذلك لأنها تعكس جندياً توجه إلى ساحة القتال ليصلح أسلاك التلغراف والهاتف التى انقطعت. قد تكون الرسائل التى تحملها تلك الأسلاك ذات قيمة لحياة الألوف من الناس. ولما لم يكن لدى الجندى الأدوات اللازمة لإصلاح الأسلاك المقطوعة, فما كان منه إلا أن أمسك بطرفي السلك المقطوع بيديه, وعمد إلى هذه الطريقة لوصل طرفيه بالمسك باليد. وهكذا كان هذا الجندى "الواسطة" لإعادة اتصال السلكين المنفصلين. وهذا عين ما عمله الله, إنه سد ذلك الشق الذى حصل بين الله والإنسان, ووصل طرفى الفجوة. فقد أزال السيد المسيح –الذى هو سلامنا– العداوة بين الإنسان وخالقه. وما كان الله فى وقت من الأوقات عدواً للإنسان, إلا أن الإنسان –بملء اختياره– أصبح عدواً لله. وقد بدأ عصيان الإنسان فى جنة عدن عندما عصى آدم أوامر الله, وتحالف مع إبليس. فهناك بدء العداوة وبداية انفصال الإنسان عن الله وابتعاده عن خالقه.

ليس بالخبز وحدة يحيا الإنسان

قرأت مرة عن رجل قصد مع زوجته مرة ميتماً لكى يتبنيا منه ولداً. وعندما قابلا الولد وعداه بأن يقدما له كل ما تشتهى نفسه من متاع هذه الدنيا وفكر الولد قليلاً ثم قال: إذا لم يكن لديكما ما تقدمانه لى سوى الملبس والمأكل والألعاب والمأوى, فهذه أمور يحصل عليها معظم الأولاد!

فسألته الزوجة: إذاً ماذا تريد زيادة عما ذكرناه لك؟ أجاب: إنى أحتاج إلى شخص يحبنى! فالمحبة هى حاجتى القصوى!

إن هذا الولد الصغير أدرك هذه الحقيقة: "إنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". والقلب البشرى لا يسعد بالأدوات المادية أو التسليات الأخرى لأن النفس لا تعيش على قشور الحياة ولذاتها العابرة، وألعابها الصبيانية. ولا تروى أشواق النفس العميقة إلا بشركة عميقة مع الله الذى خلقنا على صورته ومثاله وجعلنا فى مرتبة أدنى قليلاً من الملائكة.

لا شك أن كل واحد منا جرب الجوع فى وقت من الأوقات. فالمرء يحس بالألم وبالانقباض ساعة الجوع. وكلنا أيضاً تذوق الجفاف الذى يعانيه الجسد عند العطش الشديد.

قد نتساءل: وأى سعادة تكمن فى العطش والجوع؟ وللجواب على ذلك نقول: لنعلم أن الجوع من علامات الحياة. فالموتى لا يجوعون والجسم المائت لا يحتاج إلى طعام أو ماء. ويعلمنا الكتاب المقدس أن القلب يتحجر بسبب عدم الارتواء والامتلاء الروحى. فإذا كان فى القلب جوع لكلمة الله فإنه يميل لسماع صوت الله ويتجاوب مع نداء الروح السماوى.

حيل الشيطان

ويروى عن رجل كان يسير فى أحد الشوارع وخنزير يتبعه فسأله بعض الفضوليين: كيف استطاع الخنزير أن يظل سائراً فى خطواتك بدون أن يربط بحبل أو يقاد بمقود؟ أجاب الرجل: الأمر بسيط فقد لجأت إلى حيلة وهى أن أرمى للخنزير حبة من الفاصوليا بعد الأخرى. ولما كان الخنزير مغرماً بالفاصوليا ظل يتبع خطواتى. وهذا عين ما يصنعه إبليس بنا ونحن نسير فى طريق الحياة. فهو يحاول دوماً أن يوقعنا بشباكه وأن يجذبنا بفتنته.

الخضوع والتسليم

سألنى شرطى قبل مدة عن سر الحياة المظفرة. فقلت إن هذه الحياة لا تحتاج إلى معادلة سحرية. وكل ما يطلب منا أمران: خضوع وتسليم.. وإخلاص وولاء. وإنى أشعر بأنه امتياز لى أن أسير فى طريق الله، وأن أتذوق حلاوة هذا الاختبار. فعندما أنهض صباحاً أشعر بحضور الله فى غرفتى. وعندما أذهب لأنام أشعر بسلام الله يغمرنى. وما أحلى أن نتذوق مثل هذا الاختبار الدائم الذى نحصل عليه عن طريق الله!

والسؤال: هل تشتاق أيها القارئ إلى مثل هذا الاختبار؟ هل تجوع نفسك إلى هذا الفرح والسلام والرضى؟ وهل تتوق للحصول على ثمار الروح التى هى: محبة – فرح – سلام – طول أناة – لطف . صلاح – إيمان – وداعة – تعفف ...

إذا كان هذا نوع الجوع الذى تشعر به فتأكد أن الله سيهبه لك لأنه قادر أن يحقق ما وعدك به. فهو الذى قال: "طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون".

سلام الله يجعل لنا الأمور بسيطة

إنى أعرف رجلين تنازعا على سياج قديم يفصل بين ممتلكاتهما. ولم يكلم الواحد منهما الآخر لمدة طويلة. وأخيراً رغب أحدهما إلى المصالحة فحمل كتابه وذهب لزيارة جاره. ولما وصل سلّم الكتاب إلى عدوه القديم وقال له: اقرأ يا حنا! وأنا أصلى! فنحن نرغب أن نستعيد صداقتنا ولن نحصل على السلام.

فأجاب حنا: لا أستطيع أن أقرأ بدون نظارات. فتناول جيم نظاراته وقدمها له. وبعد أن قرأ الأول كلمة الله وبعد أن صلى الثانى تعانقا. فهتف حنا قائلاً –وهو يعيد النظارات لرفيقه– : لقد بدا ذلك السياج القديم متغيراً عندما تطلعت إليه بنظاراتك يا جيم!

وهكذا ... فمتى حصلنا على سلام الله فإننا نرى الأمور بسيطة لا سيما عندما نبدأ ننظر إليها بمنظار الروح الخيرة والنية الحسنة.

ليس نجاحاً هذا الذى لا يربط الإنسان بالسماء

خرج الرجل من بيته سائحاً فى الصحراء الشاسعة، وهو لا يحمل من أملاك الدنيا سوى عصاه، وجلبابه، وطعام يومه، ومخاوف الطريق الموحشة.

وغربت الشمس، وأظلمت الدنيا، وصمت الليل، وعوت الذئاب، فدب فى قلبه الخوف، وانتابه القلق، فسعى إلى كهف من كهوف الصحراء المهجورة، فألقى بجسده فى حضن الصخر، وبات ليلته، يتوسد حجراً، ويرقد فوق حجر.

وما كاد الرجل يغلق عينيه، ويغيب عن وعيه، حتى رأى فيما يرى النائم، وكأنه واقف على أرض خضراء، ينتصب فوقها سلم طويل.. طويل، يصعد فى طبقات الجو العليا، ويعلو فوق الغمام، صاعداً نحو السماء!

وإذا ملائكة من نور يصعدون ويهبطون، ويترنمون ويهتفون! وإذا بطاقات السماء مفتوحة، ومن خلفها ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن.

وفتح الرجل عينيه، فإذا به يحلم، وإذا بالصحراء قاحلة كما كانت، والكهف مظلم بارد كشأنه منذ بدء الخليقة، وإذا بأصوات الملائكة قد خبت، وعاد عواء الذئاب الجائعة يتردد فى أجواء القفر!

لكن شيئاً لم يتغير! فلم يعد الرجل خائفاً كما كان، ولم تعد العصا هى كل ما يملكه من حماية وعون، بل امتلأ قلبه بطمأنينة وسلام وسكون، وسرى فى روحه يقين راسخ أن الله يبارك خطاه، وأن برنامج حياته وطريق مستقبله يرتبطان بسلم مديد رأسه فى السماء، فلا خوف من صحراء باردة مظلمة، ووحوش كاسرة جائعة، وحيات خبيثة لادغة. إن هناك خيطاً دقيقاً يربطه بالسماء، والسماء لا تلدغها الحيات، ولا يخيفها الظلام والوحوش.

وهذا وحده ضمان النجاح الذى لا تهدده مصاعب الطريق، ولا تتربص به الأيام، أن ترتبط حياة الإنسان بالله، وأن يكون اتجاهه ومسعاه فى دائرة خطة الله ورضاه؛ إذ ليس نجاحاً هذا الذى لا يصل الإنسان بخالقه.

معاق لكنه سعيد

وقد يملك الإنسان أشياء كثيرة مثل المال والصحة والشهرة، لكنه قد يشعر بالتعس فى حياته، وقد يفقد الإنسان شيئاً حيوياً لكنه يعيش فى سعادة حقيقية.

إن هناك أشياء معينة لا غنى عنها لسعادة معظم الناس، لكنها أشياء بسيطة مثل الطعام والمأوى والصحة والحب والعمل الناجح واحترام الجماعة التى ينتمى إليها الفرد، والانتماء للأسرة. لكن فقد إحداها، لا يعنى الشقاء واليأس بالنسبة للإنسان. يحكى أحد المفكرين عن إنسان فقد الصحة لكنه ظل سعيداً! فيقول عنه: لقد عرفت رجلاً فقد القدرة على استخدام ساقه فى شبابه الباكر، بيد أنه ظل محتفظاً بسعادته طوال حياته الجديدة. وقد حقق هذه السعادة بانكبابه على تأليف كتاب فى خمسة أجزاء عن الآفات التى تصيب الورد. وكان هذا الشخص فى طليعة الخبراء فى هذا الموضوع. وتقول المؤلفة الأمريكية هيلين كيلر العمياء الصماء البكماء رغم إعاقتها: "إنى أجد الحياة جميلة".

أحلى ما يقوله اللسان هو الصدق

تقدم السائل الفقير، ومد يده نحو الرجل الذى كان يعبر الطريق، وطلب إليه أن يساعده ببعض المال. وبحث الرجل الطيب فى جيوبه، فلم يجد ما يعطيه، فنظر إلى السائل وقال له فى أسف شديد: "يؤسفنى يا أخى أننى لا أحمل نقوداً."

ونظر إليه الفقير بنظرة عامرة بالشكر والتقدير، وقال: "شكراً يا سيدى، شكراً لك، سأظل أذكر فضلك وإحسانك."

ودهش الرجل الطيب وقال للسائل: "لماذا تشكرنى، وماذا قدمت لك من فضل، ألم أعجز عن تلبية سؤلك؟"

وأطال الفقير: "لكنك قلت لى يا "أخى" وهى كلمة لم أسمعها منذ زمن بعيد!.. إنك لم تمنحنى مالاً، لكنك أشبعت قلبى وأسعدتنى!

كلمة حلوة من قلبك

كان (س.ك) يعمل محرراً رياضياً فى إحدى المجلات.. وكان فى مبتدأ حياته الصحفية.. ولم يكن يستقبل أى رسائل من المعجبين بمقالاته مثل باقى المحررين فى الأقسام الأخرى.

وفى صباح أحد الأيام لفت نظره رسالة صغيرة على مكتبه.. ففتح الرسالة وقرأ ما جاء فيها: "مقالك رائع.. ثابر على عملك الجيد". وحملت الرسالة توقيع محرر رياضى كبير بإحدى أشهر الصحف.

ويحكى المحرر (س.ك) عن مدى سعادته بهذه الكلمات المشجعة التى كانت بالنسبة له كقطرات ندى على شفتى ظمآن، واحتفظ بالرسالة فى درج مكتبه حتى تآكلت أطرافها، وكلما يقرأ الرسالة ويسترجع بهجته، فيستعيد حماسه، ويواصل الكتابة، ثم تعلم بعد ذلك كتابة رسائل قصيرة لأناس يحتاجون إلى التشجيع.

رسالة حب

كانت الفتاة الهندية الجميلة تستعد للزفاف، حين اكتشفت ظهور بعض البثور المؤلمة فى أطرافها، وعلمت بعد قليل أنها أصيبت بالجزام!

ولم يكن أمامها إلا أن تغير حياتها لتتوافق مع المفاجأة القاسية. فذهبت فى صحبة أخيها، وهى كسيرة القلب، إلى مستعمرة الجزام، ذات الأسوار الشاحبة خارج المدينة.

وعندما خطت بقدمها داخل البوابة الكئيبة، انقبض صدرها فها هى تدخل بوجهها الصبوح وشبابها النضر إلى مجتمع المجزومين. وقد رأت فى اللحظة الأولى ما كانت عليه السيدات المجزومات من بؤس وحزن عميق، فضلاً عن قذارة المكان، ووسخ الثياب، وبذاءة الأخلاق، بل وشراسة الطباع أيضاً!

كانت الفتاة ترتدى ملابس عروس صغيرة جميلة، رقيقة نظيفة صافية، بريئة صبوحة معطرة. وأدركت فى الحال ما ستكون عليه فى هذا المكان الموحش الكئيب المهمل، وما ستنتهى إليه بين أنياب المرض الشرس والقروح العفنة!

وأسندت الفتاة رأسها الصغير على كتف أخيها، وبكت بمرارة وأسى كما لم تبك من قبل. كان سوء المصير أكبر من أن تتحمله فتاة صغيرة ورقيقة ونابهة، بعد أن تلقفتها عيون كئيبة. حاقدة. مرة النفس. غارقة فى وحل المرض ودناءة الخلق أيضاً.

وحين انسحب أخوها عائداً وأغلق الباب، تيبست قدماها، وارتعشت أطرافها، ولم تستطع أن تخطو نحو العنبر الكئيب. واتجهت أفكارها إلى البئر العميقة وسط فناء الدار، وأحست أن هذه البئر العميقة أحق بأن تأخذ شبابها من مستعمرة المجزومين.

وقبل أن تُقدم على الانتحار، جاءت سيدة خشنة وجذبتها إلى داخل البيت لتقضى أولى لياليها السوداء!

وعلى فراشها العفن وسط عشرات المجزومات، بكت الفتاة كثيراً. وكانت دموع.. وكان عتاب، وكانت آلام طاحنة،ثم إحباط وتمرد ورفض وغيظ وأفكار معتمة.

وجاءت الليلة التى غيرت كل شىء. ففى هدأة الليل، ووسط بحور الدموع، تحدث الله إلى قلبها الجريح وإلى أحاسيسها المرهفة الطيبة. وقال الله لها إنه أتى بها إلى ذلك المكان الكريه من أجل غرض نبيل ولرسالة هامة! قال الله لها إنه رأى ما آلت إليه حياة النساء البائسات من شقاء، فأرسلها إليهن لتكون رسالة حب وإنقاذ ورحمة، وليجعل منها الدواء والسلام للقلوب الممزقة!

ومرت الأيام والليالى وهى تدعو الله، وتستوضح ما يريده فى حياتها، وتعامل الله معها فاكتملت رؤيتها، ونسيت آلامها الخاصة، وبدأت رحلتها فى إنعاش روح المجزومات وبعث الحياة فى كيانهن المحطم!

وبدأت حملتها الأولى فى تنظيف المكان، وبعد شهور قليلة تحول المكان إلى حديقة مزهرة وتحولت غرف النزيلات إلى أماكن نظيفة، وتغيرت ملامح المجزومات وملابسهن، وارتسمت على الوجوه ابتسامة الرضا والقبول. وتحول البؤس إلى حياة وحب وخدمة وتعاطف وعطاء.

وبعد سنوات كثيرة قالت الفتاة:" لقد رسم الله لى حياتى بمشرط الجراح فأماتنى أقامنى إنسانة جديدة.

لقد ألقى الله بى كما تُلقى حبة الحنطة فى الأرض ليموت غلافها الخارجى، ثم ينبت من كيانها المحطم عوداً أخضر ملئ بالثمار والحياة والربيع. ولقد أخضعت إرادتى لله بصعوبة، لكننى الآن استمتع بما أراده الله لحياتى المثمرة"!

إنسانية الابتسامة

عندما مرت عربة نصف نقل فى أحد الشوارع وكان على متنها صبى صغير يعمل عتالاً، وقد شاهد صاحبه بائع البرتقال جالساً على حافة الرصيف فما أن تبادلاً النظرات والابتسامات حتى رأيته يلقى برتقالة إلى صديقه فتلقفها الصبى بسرور بالغ، ولما تحركت العربة لوح كل منهما لصاحبه بيده، وقد ارتسمت على وجهيهما ابتسامة عريضة!! فى لحظة مفعمة بالحب والأخلاق بين صديقين.

كان هناك صبى صغير يعمل ماسحاً للأحذية قعد على الرصيف يتطلع فى وجوه المارة لعله يجد من بينهم من يرغب فى مسح حذائه، وكان الصبى يرتدى ثياباً بالية، لا تكاد تحمى جسمه النحيف من برد الشتاء، وفى لحظة توقف أحد المارة ليمسح حذائه، وبدأ ينظر إلى الصبى بابتسامة حلوة وأخذ يداعبه، وسأل بحب وحنان: هل أنت بردان؟ فقال الصبى الصغير: نعم يا سيدى أنا بردان، ولكنى أحسست بالدفء يسرى فى كيانى عندما ابتسمت لىّ!

تلعب الابتسامة دوراً إيجابياً فى تخفيف حدة التوتر والغضب.

تشاجر تلميذان فى المدرسة، وذهب أحدهم إلى مكتب المدير شاكياً باكياً من سوء معاملة زميله، فقال المدير للولد: "لن أسمع شكواك إلا إذا ابتسمت ابتسامة حلوة" وبعد أن ابتسم الولد جاءت شكواه أقل حدة ومرارة، فالابتسامة تساعدنا على اجتياز صعوبات الحياة وتحمل أعبائها، فالإنسان المنشرح يستطيع أن يتسلق قمم الجبال بينما الكئيب لا يستطيع تخطى كومة من التراب!

رسالة من السماء

أعرف صديقاً فقد زوجته وعمله وبيته فى سنوات الضيق والأزمة الخانقة التى نزلت بالولايات المتحدة، ولكنه ظل متمسكاً بإيمانه وكان هذا آخر شىء له. وشاهد هذا الرجل يوماً أناساً يرفعون

حجارة لمعبد كبير، فسأل أحد العمال قائلاً: "ماذا تريد أن تعمل بالحجر الذى بيدك؟" وتطلع العامل إليه وقال: "هناك فتحة فى أعلى البرج وأنا أحاول أن أسدها بحجر يلائمها." وامتلأت عينا هذا الرجل بالدموع وهو يبتعد عن جماعة العمال، ذلك لأنه تأثر بقول العامل. ويبدو أن الله استخدم مثل ذلك العامل ليفسر له المحنة التى هو واقع تحتها.

<u>قصة: الصياد</u> ***للكاتب الأديب مصطفى لطفى المنفلوطى***

حدث أحد الأصدقاء: بينما أنا فى منزلى صبيحة يوم إذ دخل على رجل صياد يُحمل فى شبكة فوق عاتقه سمكة كبيرة، فعرضها علىّ، فلم أساومه فيها بل نقدته الثمن الذى أراد، وأخذه شاكراً متهللاً وقال: هذه هى المرة الأولى التى أخذت فيها الثمن الذى اقترحته، أحسن الله إليك كما أحسنت إلىّ، وجعلك سعيداً فى نفسك، كما جعلك سعيداً فى مالك، فسررت بهذه الدعوة كثيراً، وطمعت فى أن تتفتح لها أبواب السماء (المنغلقة).

وعجبت أن يهتدى شيخ عامى إلى معرفة حقيقة لا يعرفها إلا القليل الخاصة، وهى أن السعادة النفسية شأناً غير شأن سعادة المال، فابتسم ابتسامة هادئة مؤثرة وقال: لو كانت السعادة سعادة المال لكنت أشقى الناس، لأننى أفقر الناس، فقلت: وهل تعد نفسك سعيداً؟ قال: نعم، لأننى قانع برزقى مغتبط بعيشى، لا أحزن على فائت من العيش ولا تذهب نفسى حسرة وراء مطمع من المطامع فمن أى باب يخلص الشقاء إلى قلبى؟ قلت: أيها الرجل أين يذهب بك؟ ما أرى إلا أنك شيخ قد اختلس عقله. كيف تعد نفسك سعيداً وأنت حاف غير منتعل، وعار إلا قليلاً من الأسمال البالية والأطمار السحيقة قال: إن كانت السعادة لذة النفس وراحتها وكان الشقاء ألمها وعناءها، فأنا سعيد، لأنى لا أجد فى رثاثة ملبسى ولا فى خشونة عيشى ما يولّد لى ألماً، أو يسبب لى هماً، وإن كانت السعادة عندكم أمراً وراء ذلك، فأنا لا أفهمها إلا كذلك.

قُلت: ألا يُحزنك النظر إلى الأغنياء فى أثاثهم ورياشهم، وقصورهم ومراكبهم، ومطعمهم ومشربهم، ألا يحزنك هذا الفرق العظيم بين حالتك وحالتهم؟ قال: إنما يُصغر جميع هذه المناظر فى عينى ويهونها عندى أنى لا أجد أصحابها قد نالوا من السعادة بوجودها أكثر مما نلته بفقدانها.

هذه المطاعم التى تذكرها إن كان الغرض منها الامتلاء، فأنا لا أذكر أنى بت ليلة فى حياتى جائعاً، وإن كان الغرض منها قضاء شهوة النفس فأنا لا آكل إلا إذا جعت، فأجد لكل ما

يدخل جوفى لذة لا أحسب أن فى شهوات الطعام ما يفضلها، أما القصور، فإن لدى كوخاً صغيراً لا أشعر أنه يضيق بى وبزوجتى وولدى فأقرع السن على أن لم يكن قصراً كبيراً.

وإن كان لابد من إمتاع النظر بالمناظر الجميلة فحسبى أن أحمل شبكتى على عاتقى كل مطلع فجر وأذهب بها إلى شاطئ النهر، فأرى منظر السماء والماء، والأشعة البيضاء، والمروج الخضراء، فما هى إلا لفتة الجيد أن يطلع من ناحية الشرق قرص الشمس كأنه مجنٌّ من ذهب أو قطعة من لهب، فلا يبعد عن خط الأفق ميلاً أو ميلين حتى ينثر فوق سطح النهر حليه المتكسر، أو درّة المتحدر، فإذا تجلى هذا المنظر أمام عينى يتخلله سكون الطبيعة وهدوءها، ملك على شعورى ووجدانى فاستغرق النائم فى الأحلام اللذيذة.

ولا أزال هكذا هائماً فى أحلامى حتى أشعر بجذبة قوية فى يدى فأنتبه فإذا السمك يضطرب، وما اضطرابه إلا لأنه فارق الفضاء الذى كان يهيم فيه مطلق السراح، وبات فى المحبس الذى لا يجد فيه مراحاً ولا مضطرباً، فلا أجد له شبيهاً فى حالتيه إلا الفقراء والأغنياء، يمشى الفقير كما يشتهى وينتقل حيث يريد، كأنما هو الطائر الذى لا يقع إلا حيث يطيب له الغناء والتنقير. أما الغنى فلا يتحرك ولا يسكن إلا وعليه من الأحداق نطاق، ومن الأرصاد أغلال وأطواق..

فإذا أخذت من السمك كفاف يومى عُدت به وبعته فى الأسواق، فإذا أدير النهار عُدت إلى منزلى يعتنقنى ولدى وتبشّ فى وجهى زوجتى فإذا قضيت بالسعى حق عيالى، وبالصلاة حق ربى نمت فى فراشى نومة هادئة مطمئنة لا أحتاج معها أى ديباج وحرير، أو مهد وثير، فهل أعد نفسى شقياً، وأنا أروح الناس بالاً، وإن كنت أقلهم مالاً؟

لا علاقة بينى وبين أحد فى هذا العالم إلا تلك العلاقة التى بينى وبين ربى فأنا أعبده حق عبادته وأخلص فى توحيده فلا أعتقد ربوبية أحد سواه.

ولقد كان هذا اليقين أكبر سبب فى عزائى وراحة نفسى من الهموم والأحزان، فما نزلت بى ضائقة، ولا هبت علىّ عاصفة من عواصف هذا الكون، إلا انتزعنى من بين مخالبها وهونها على حتى لا أكاد أشعر بوقعها.

ما العالم إلا بحر زاخر، وما الناس إلا أسماكه المائجة فيه، وما ريب المنون إلا صياد يحمل شبكته كل يوم ويلقيها فى ذلك البحر فتمسك ما تمسك، وتترك ما تترك، وما ينجو من شبكته اليوم لا ينجو منها غداً، فكيف أغتبط بما لا أملك أو أعتمد على غير معتمد إذن أنا أضل الناس عقلاً وأضعفهم إيماناً.

قال المحدث: فأكبرت الرجل فى نفسى كل الإكبار، وأعجبت بصفاء ذهنه وذكاء قلبه، وحسدته على قناعته بسعادة نفسه، وقلت له يا شيخ: إن الناس جميعاً يبكون على السعادة، ويفتشون عنها فلا يجدونها فاستقر رأيهم على أن الشقاء لازم الحياة لا ينفك عنها، فكيف تعد العالم سعيداً وما هو إلا فى شقاء؟ قال: لا يا سيدى، إن الإنسان سعيد بفطرته، وإنما هو الذى يجلب إلى نفسه الشقاء بشدة طمعه فى المال فيتعذر عليه مطمعه فيطول بكاؤه وغناؤه. إن كثيراً مما يصيب الناس من شقوة إنما يأتى من طريق الأخلاق الباطنة، لا من طريق الوقائع الظاهرة، الحاسد يتألم كلما وقع نظره على محسود، والحقود يتألم كلما تذكر أنه عاجز عن الانتقام من عدوه، والطمّاع يتألم كلما خاب أمله فى مطمع، والظالم يتألم كلما سمع ابتهال المظلوم بالدعاء عليه، أو حاقت به عاقبة ظلمه، من أراد أن يطلب السعادة فليطابها بين جوانب النفس الفاضلة، وإلا فهو أشقى العالمين، ومن أحرز ذخائر الأرض وخزائن السماء.

قال الصديق: فما وصل الصياد من حديثه إلى هذا الحد حتى نهض قائماً وتناول عصاه، وقال: أستودعك الله يا سيدى وأدعو لك الدعوة التى أحببتها لنفسك وأحببتها لك، وهى أن يجعلك الله سعيداً فى نفسك، كما جعلك سعيداً فى مالك، والسلام عليك ورحمة الله.

القناعة

يقولون كنز لا يفني ، وحتي وقت قصير لم أكن أعير هذه العبارة أي أهمية . كانت أطماعي لا تقف عند حد؛ أريد هذا وهذا وهذا ، وأغضب كثيرا ان لم أحصل علي ما أريد.

ولكن طفلا صغيرا في قصة قرأتها منذ أيام، علمني درس حياتي . تحكي القصة أن هذا الطفل وأمه الفقيرة تعرضاّ ات ليلة باردة من ليالي الشتاء لقسوة الجوع من تهديد الريح وانهمار المطر علي الكوخ الصغير المتهالك ، فما كان من الأم الأ أن خلعت باب الكوخ واستظلت تحته وطفلها في حضنها . عندئذ نطق الطفل الصغير وعلي وجهه علامة الرضا : " امي ماذا يفعل الناس الذين يغمر المطر أكواخهم ولكنهم

لا يملكون باباً قويا مثلنا ؟

وتأثرت كثيرا واجبرني التفكير في هذه القصة ، ان اعقد مقارنة بيني وبين هذا الطفل الصغير.

ولا حظ جميع من حولي كيف تغيرت نظرتي للامور بعد ذلك ، واختلفت تصرفاتي. لاحظوا جميعا انني أصبحت طيبة القلب ، اضحك كثيرا بعد ان كنت كثيرة التذمر والشكوي.

والنتيجة التي اسعدتني هي ان احبني الجميع.

قالت لي ابنة خالي الصغيرة: " لقد ابيض وجهك كثيرا يانادية ، وصار مثل القمر " . وهي صادقة حتي وان لم يبيض لون وجهي حقا. فهي قد راتني بقلب اكثر بياضا ،

ونفس اغني بالرضي ... فياليتني اكتشفت سر هذه السعادة من زمن بعيد.

بقلم : نادية عبد العزيز السقاف (باليمن)

امثال

" الحب بلا تضحية كالخميرة بلا دقيق فهي لاتصنع خبزاً "

قصة قصيرة جدا

علي فراش الموت رقد شيخ تقي من أدنبرة حيث نوافد أصدقاؤه لوداعه ، ونظر الرجل الي أحدهم وقال ضاحكاً : قبل حضورك استقبلت ثلاثة ضيوف وقد ودعت اثنين منهم وداعاً حاراً ، ورفضت أن أودع الثالث ، اذا لم أستطع الا أن أحتفظ به معي الي الأبدا ،

وسأل الضيف : من هؤلاء ؟

فابتسم الشيخ التقي وقال :

الأول هو الايمان : وقد قلت له : وداعاً.... انني أشكر الله من أجل رفقتك ؛ لقد ساعدتني طوال حياتي ، وبك عرفت الله لكنني ذاهب الأن الي حيث أري كل شئ بالعيان ؛ فلست محتاجاً بعد اليك القد أتممت دورك في حياتي.

وجاء صديقي الثاني : الأمل ، فشكرته علي موافقه الراسحة حين انقذني من الفشل واليأس في مواقف كثيرة ، ولكني قلت له أنا لم أعد في حاجة اليك أيها الصديق الان فأنا ذاهب الي حيث تتحقق الامان والاحلام وحيث يصبح الرجاء حقيقة واقعةً.

أما صديقي الثالث فكان الحب ، لقد قلت له :

حقاً لقد كنت صديقاً رائعاً، ربطتني بالله وبالناس، وملأت رحلة الحياة فرحاً وسلاماً وراحة، لكني لا أستطيع أن أتركك خلف ظهري، اذ لابد أن تأتي معي عبر الأبواب الي مدينة الله ، فهناك يكتمل الحب ويتوج المحبون؟ ولذلك لا أقول وداعاً أيها الحب؟

بين الفقراء

اعتاد أحد الملوك بمناسبة عيد قومي سنوي كبير ، أن يقيم حفل عشاء ضخما لفقراء مدينته ، وكان يدعو أيضا الي هذا العشاء كبار رجال المينة، فكنت تري أغنياء البلد يجلسون بثيابهم الفاخرة جنبا الي جنب مع مساكين المدينة بثيابهم المتواضعة والكل ملتفون حول مليكهم

وحدث في أحد هذه الاعياد أن اكتشف تاجر من كبار التجار ان اللصوص سرقوا كل ثيابه الفاخر ، ومن بينها الملابس التي أعدها ليحضر بها الوليمة حزن التاجر حزنا شديدا والان الفرصة ستفوته لرؤية الملك والجلوس الي مائدته